Vol 07/ Issue 04 / December 2025/ pp 113 – 128
ISSN: 2676-234X / EISSN: 2716-9006

Social Empowerment Journal
University Amar Telidji of Laghouat-Algeria

Glottophobia and linguistic discrimination: A field study of dialect stigmatization mechanisms and exclusionary practices in Tunisian society

Mohamed Fadhel Haj Sassi
University of Tunis, (Tunisia), e-mail: hajsassi.medfadhel@yahoo.fr
ORCID: https://orcid.org/0009-0004-9815-5293

Received: 27/09/2025; **Accepted**: 05/11/2025, **Published:** 31/12/2025

Abstract

The study of dialects is not merely a scientific whim that we can be wary of or reject under the guise of intellectualism, but rather an urgent scientific and cognitive necessity in an era dominated by tendencies toward hegemony and influence in all its forms. This type of study can provide an objective and accurate sociocultural reading of society, as it focuses on the essence of local cultural identity and what that may represent in terms of self-esteem and pride on the one hand, and, on the other hand, the stigmatization and discrimination against others on that basis, despite the fact that the differentiation between dialects is not in line with the modern linguistic view that recognizes the dynamism and social nature of language. We highlighted this in the first part of the research, before moving on to present a historical overview of the phenomenon of linguistic stigmatization through the term "barbarism," which is considered its oldest manifestation. We then highlighted how language and dialect can transform from stigmatizing conflict to distinctive glottophobia. In the field, we showed that dialect stigmatization in Tunisia is a manifestation of regionalism and its other, more dangerous and painful side, as stigmatization can turn into discriminatory practices that threaten social cohesion and unity.

Keywords: *Discrimination, Integration, Tunisian Society, Cultural Identity, Linguistic Stigmatization.*

Corresponding Author: Mohamed Fadhel Haj Sassi
DOI: *https://doi.org/10.34118/sej.v7i4.4477*

مجلة التمكين الاجتماعي
جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر

المجلد 07 / العـدد 04 / ديسمبر 2025 / ص ص 113 – 128
ISSN : 2676-234X / EISSN : 2716-9006

القلوتوفوبيا والتمييز اللغوي: دراسة ميدانية لآليات الوصم اللهجوي والممارسات الإقصائية في المجتمع التونسي

محمد الفاضل الحاج ساسي
جامعة تونس، (تونس)، البريد الإلكتروني: hajsassi.medfadhel@yahoo.fr
ORCID: https://orcid.org/0009-0004-9815-5293

تاريخ الاستلام: 2025/09/27 - **تاريخ القبول:** 2025/11/05 - **تاريخ النشر:** 2025/12/31

الملخص

ليست دراسة اللهجات مجرد نزوة علمية يمكن أن نحترز منها أو نستنكف عنها تحت طائلة فكر ما، بل هي ضرورة علمية ومعرفية ملحة في زمن تطغى عليه نزعات الهيمنة والنفوذ بكل أشكاله. ويمكن لهذه النوعية من الدراسات أن تقدم قراءة سوسيوثقافية موضوعية ودقيقة عن المجتمع لكونها تهتم بجوهر الهوية الثقافية المحلية مع ما يمكن أن يمثل ذلك من مصدر اعتداد الأنا وفخره من جهة، ووصم الآخر وممارسة التمييز ضده على أساسها من جهة ثانية رغم عدم اتفاق المفاضلة بين اللهجات مع وجهة النظر اللغوية الحديثة التي تقر بديناميكية اللغة واجتماعيتها. وقد أبرزنا ذلك في الأول البحث، لننتقل بعد ذلك إلى تقديم لمحة تاريخية عن ظاهرة الوصم اللغوي من خلال لفظ البربرية التي تعتبر أقدم تجلياته. ثم أبرزنا كيف تتحول اللغة واللهجة من الصراع الواصم إلى القلوتوفوبيا المميزة. أما في الجانب الميداني فقد بينا أن الوصم اللهجوي في تونس هو مظهر من مظاهر الجهويات والوجه الآخر والأخطر والمؤلم لها، فقد يتحول الوصم إلى ممارسات تمييزية يمكن أن تهدد تماسك المجتمع ووحدته.

الكلمات المفتاحية: التمييز، الاندماج، المجتمع التونسي، الهوية الثقافية، الوصم اللهجوي.

.

المؤلف المرسل: محمد الفاضل الحاج ساسي

DOI: *https://doi.org/10.34118/sej.v7i4.4477*

1. مقدمة:

تمثل مسلمة "التجانس الثقافي في المجتمع التونسي" الخاطئة حائلا أمام التعمق في الدراسة العلمية والمخبرية لعديد الظواهر الاجتماعية والثقافية وانتعاش تخصصات علمية جديدة قادرة على زيادة فهم المجتمع التونسي وثقافته التي تمتاز -خلافا لتلك المسلمة- بالثراء والتنوع في العادات والتقاليد والممارسات رغم ما فيها من مشترك لا يرتقي -حسب اعتقادنا- إلى صفة التجانس. فالاختلاف قد يكون بين الطبقات والفئات الاجتماعية، كما قد يكون بين جهات البلاد: بين شمالها وجنوبها، أو بين ولايات الإقليم نفسه، أو بين الريف والمدينة... وهو ما ينطبق على موضوع اللهجات التونسية التي لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسة. فقد انصبت جهود علماء اللسانيات في تونس وفي بقية البلدان على اللغة المشتركة الفصحى، واستنكفوا أن يهتموا بأمر اللهجات على خطورته. (فك، 1980) فأهملوا أمرها، ولم يُرو عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ. بل إن ما روي عنها جاءنا في معظم الأحيان مبتورا وناقصا (أنيس، 2003) وبمعزل عن محيطها الاجتماعي الذي تستخدم فيه رغم اعتبارها العمود الفقري للهوية الثقافية المحلية والوعاء الحامل للظواهر الاجتماعية والمرآة التي تعكس الصورة الحقيقية لحياة المجتمع. فكانت ولادة علم اللسانيات الاجتماعي في ستينيات القرن الماضي من أجل تجاوز تعريف اللغويين للغة الذي يعتبرها مجرد أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (نهر ، 1988) لكشف الكثير مما كان غامضا من طبيعة اللغة والمجتمع (هدسون، 2002) والعلاقة بينهما.

إن الدراسة السوسيو-لغوية للهجات التونسية يمكن أن تقدم الحقيقة الموضوعية بعيدا عن الانطباعات الشخصية أو الجمعية، التي يعتبر متبنوها أنهم ضحية وصمة لهجوية وجهوية، و تتجاوز البروباغاندا السياسية التي تروج للتجانس والسواء والمساواة بين المواطنين. ويمكن تفهم هذا التوجه السياسي وقبوله لنبل هدفه الرامي إلى القضاء على نعرات القبلية و"العروشية" و"الجهوية" التي لم يستطع المجتمع التونسي التخلص منها كليا والتي تقوم بالأساس على إسناد صفات إيجابية للأنا ووصم الآخر بما دونها. وطبيعي، على هذا الأساس، أن تكون اللهجة بما هي تعبير عن الهوية الثقافية المحلية لمجموعة من الأشخاص اللذين ينتمون إلى بيئة خاصة، مجالا للاعتداد أو الوصم. وفي كلتا الحالتين، وفي ظل غياب ثقافة الاختلاف سينشأ صراع من أجل الهيمنة اللهجوية منتج لممارسات تمييزية قلوتوفوبية خطيرة على الفرد والمجتمع.

في اعتقادنا، لا يرتقي التمييز بين الأشخاص على أساس اللهجة في تونس لأن يكون ظاهرة اجتماعية، ولكن في مقابل ذلك لا يمكن أن نعتبر أن مثل هذه النوع من التمييز يمثل حالات معزولة أو شاذة. فالأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، واللهجات التونسية غنية بالألفاظ الواصمة وخاصة بين أهل الجنوب وأهل الشمال، وبين سكان المدينة وسكان الأرياف اللذين غالبا ما تختلف اللهجات بينهم. ويخفي هذا الاختلاف الواصم "عصبية" منتجة للإقصاء والتهميش، ليصبح اللجوء إلى اللهجة المهيمنة وسيلة للاندماج والإدماج.

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

مثلما أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، فإن لهجة سكان العاصمة أو"البلدية" هي اللهجة الرسمية لها. فكل وسائل الإعلام تتكلمها، ويستعملها جل المسؤولين والسياسيين في خطاباتهم حتى وإن لم تكن لهجتهم الأصلية. مما أدى إلى شعور العديد من غير الناطقين بها بالدونية و"الحقرة". وهو ما سنحاول الكشف عنه من خلال هذه الدراسة التي سنطرح فيها الأسئلة التالية:

ما هي الجذور التاريخية للوصم اللغوي والوصم اللهجوي؟ لماذا وكيف تتحول اللهجة من تعبير عن الهوية الثقافية المحلية إلى ممارسات واصمة وتمييزية؟ ما هي مظاهر التميز والوصم القائمة على أساس اللهجة في المجتمع التونسي؟ وما هي الألفاظ الواصمة في الثقافة التونسية؟ وكيف يؤثر ذلك على تماسك المجتمع ووحدته؟ وما هي السبل الكفيلة لترسيخ ثقافة الاختلاف في هذا المجتمع؟

2 - **منهج البحث: المنهج الوصفي**

يعتبر المنهج الوصفي من أنسب المناهج وأكثرها استخداما في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية لأنه يدرس الظاهرة كما هي في الواقع وفي أوضاعها الراهنة ويستخدم مختلف الأساليب المناسبة من كمية وكيفية كالملاحظة والاستبيان والمقابلة التي تضمن للباحث "مستوى أدنى من الدقة والموضوعية والعمق" (طعم الله ، 2004) في التعبير عن الظاهرة وتفسيرها من أجل التوصل إلى الفهم والتحليل. وتستمد الصيغة الكمية للبحث أهميتها من كونها تجعل الباحث مستقلا عن المتغيرات التي يدرسها ويهتم بالمعالجة الإحصائية التي تلخص المواقف والأفكار والأحداث في أرقام لها دلالات خاصة. (مصطفى، 2007) أما الصيغة الكيفية فتمكن الفاعل الاجتماعي من التعبير عن إرادته وحواسه للباحث ويبرز لنا خواطره التي تمثل الدلالات الكافية لدراسة الفرد والمجموعة.

وقد اخترنا لهذا البحث عينة تتكون من 120 فردا مقسمين كالآتي: 32 فردا من منطقة ريفية تابعة لولاية صفاقس هي عمادة اللطائفة، و30 فردا من سكان مدينة صفاقس، و22 فردا من سكان سوسة و36 فردا من سكان العاصمة تونس.

3 - **الإطار العام للدراسة: علم اللسانيات الاجتماعي وديناميكية اللغة**

يعتبر السويسري فرديناند دي سوسير (1857-1913) الأب المؤسس للسانيات الغربية الحديثة التي أحدث ثورة على المناهج اللغوية السابقة وزحزحتها من مواقعها وحاولت أن تحتل مكانها جميعا. وانتقل تأثير المدرسة البنيوية التي أنشأ صرحها هذا العالم من الدرس اللغوي الصرف إلى ميدان الأدب ونقده، لدرجة أنها صارت الشغل الشاغل للأدباء والنقاد حتى أوائل السبعينيات. (بشر، 2005)

ومن الأفكار المركزية التي تقوم عليها السوسيرية الاعتماد على المحور التزامني ورفض المنظور التتابعي لدراسة اللغة. فمعرفة تاريخ الكلمة حسب دي سوسير لن يفيد في تحديد معناها الحالي. فالمنهج البنيوي يلتزم بمفهوم التزامنية، وهي: دراسة لغة محددة في لحظة معينة دون النظر في المراحل التاريخية، فيدرس اللغة كما هي

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

ومحاكمتها بقوانينها - لا بقوانين غيرها - دون تقعيد لغرض الدراسة نفسها، بشكل موضوعي بغية الكشف عن حقيقتها (لعبيدي، 1985) وكان دي سوسير يرى أن التزامن والتعاقب في اللغة يجب أن يدرسا في علمين منفصلين؛ لأن التزامن يرتبط بالنظام ولكنه مفصول عن علاقات الزمن، في حين أن التعاقب يرتبط بالزمن ولكنه مفصول عن علاقات النظام. (بيوجيه، 1985)

وانطلاقا من هذا المنظور فإن اللغة موحدة ومتشابهة من حيث البنية، وهي بالتالي نظام نسقي موحد لا يعرف التنوع ولا التعدد. وهو ما دفع رواد اللسانيات الاجتماعية إلى الثورة على اللسانيات البنيوية المغلقة والمنطوية على ذاتها واللسانيات التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي التي جاءت بعدها رافضين إقصاء دي سوسير للعوامل المرجعية والخارجية في دراسة اللغة، كالعوامل النفسية، والعوامل الاجتماعية، والعوامل الثقافية... وناقدين تصور تشومسكي عن فطرية المعرفة اللغوية وطبيعتها العقلية والفردية والوراثية، ومعتبرين أن اللغة ظاهرة اجتماعية مكتسبة ووسيلة تعبير اجتماعي وعلمي وسياسي واقتصادي مما يحتم دراسة خصائص هذه الاستعمالات المختلفة ومعرفة أبعاد التكيف اللغوي مع مختلف الأغراض والمواقف .

وعلى هذا الأساس، نهض علم اللسانيات الاجتماعي لكي يتجاوز عملية الفصل الوهمية القائمة بين اللغة والناطقين بها، وذلك على أساس العلاقة القائمة بين هذين العنصرين. لذا نجد أن هذا العلم يهتم كثيرا بدراسة الوظيفة الاجتماعية للغة من حيث علاقتها بالمجتمع أو العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين والمعايير التي توضح وتنظم سلوك اللغة وسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع. (بشر، 2005)

لقد عرفت اللسانيات الاجتماعية أوجها في الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات الستين من القرن الماضي مع وليام لابوف (William Labov) الذي يعد الأب الحقيقي للسانيات الاجتماعية والذي كان من اللغويين القلائل الذين انتبهوا إلى أهمية ربط بنية لغة من اللغات بالسياق الاجتماعي العام الذي تنشأ فيه تلك اللغات، لدرجة استبعد فيها أي إمكانية للفصل بين اللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي (Meillet, 1965) والفصل بين الدياكرونية (التعاقبية) والسانكرونية (التزامنية) وضرورة الجمع بينهما ضمن نسق متماسك يجمع بين ظواهر اللغة وبين ظواهر المجتمع فتتحول بذلك اللغة إلى "حدث اجتماعي"، وفي الوقت نفسه، إلى "نظام متكامل". (Blanchet, 2007) وبالتالي فإنه يصبح من الصعب جدا فصل اللسانيات أو أي علم آخر عن السياق الذي توجد فيه (Blanchet, 2007).

وأخذا بهذه الاعتبارات، فإن اللغة تتأثر بالمجتمع والفئات الضيقة الكائنة داخله وتؤثر فيهما، إذ تتشعب لغة المحادثة في البلد الواحد، أو المنطقة الواحدة إلى مستويات لغوية متباينة تبعا لتباين واختلاف طبقات المجتمع وفئاتهم الاجتماعية... فتكون ثمة لهجة للمتعلمين تختلف عن لهجة الأميين، والمتعلمون يختلفون فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم، وباختلاف مهنهم، وباختلاف درجة ثرائهم، وبسوى ذلك من الأسباب، ولهجة أخرى للطبقة الوسطى، ولهجات للجنود وللرياضيين، وللنجارين وللبحارة ولذوي المهن جميعا... (لعيبي، 2009) علاوة على

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

ذلك، تساهم البيئات الجغرافية في نشأة اللهجات وتطورها وتغيرها، فلهجات المناطق الساحلية الساحلية تختلف عن المناطق الصحراوية، ولهجات سكان الجبال تختلف عن لهجات سكان المناطق المنبسطة، والذين يتكلمون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين في بيئة صحراوية بادية. (الراجحي، 1998) كما تخضع اللغة لتبدلات فضائية محلية (لغة المدينة ولغة البادية)، وتبدلات إثنية (لغة الأمازيغ ولغة الباسك أو الأكراد)، وتبدلات جنسية (لغة النساء ولغة الرجال ولغة الشواذ)، وتبدلات عمرية (لغة الأطفال ولغة الشباب ولغة الشيوخ)، وتبدلات دينية (لغة المثقفين العصريين ولغة المثقفين من رجال الدين) وتبدلات سياسية (لغة النخبة السياسية ولغة العامة).

إذن وعلاوة على كونه مفهوما اجتماعيا وثقافيا، فاللّهج ديناميكية اجتماعية وثقافية وليس شيئا جامدا، وليس فيه شيء نهائي، فكل ما في اللغة في حراك (كالفي، 2008) تتحدّد بها سمات المجتمع الحديث أكثر من غيره من المجتمعات السّابقة، هذا ما يوضّحه بازيلباستين في قوله: "بأنّ اللّغة المنطوقة التي تظهر فيها ميزات النّطق الخارجي بالمتكلّم، كثيرا ما تعكس مستوييه الاجتماعي والثقافي، زيادة على منطقة إنتمائيته". ومثلما يحدث بين هذه الفئات والطبقات الانتمائية من تفاعلات وصراعات من أجل الغلبة والهيمنة، فإن الجماعة الأكثر إبداعا والأكثر ثقافة والأكثر نفوذا من جاراتها ستتمكن في يوم من الأيام من فرض سيطرتها السياسية والثقافية. (مارتيني، 1999) فيتحول هذا الصراع الهوياتي اللغوي إلى ممارسات واصمة لا تقل خطورة عن بقية أنواع الوصم الاجتماعي. لتتعمق، في مرحلة لاحقة، الفجوة بين اللهجة الغالبة واللهجة المغلوبة عن طريق القلوتوفوبيا (glottophobie) والتمييز. وما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، فإن الحضارات القديمة التي كان ديدنها الصراعات والحروب قد ابتكرت ألفاظا واصمة صريحة لازال استعمالها المحقر قائما حتى وقتنا الحاضر.

4 - اللهجة جوهر الهوية الثقافية المحلية

إذا كانت اللهجة في الاصطلاح هي لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها (هلال، 1993) في بيئة جغرافية معينة، فإن التحديد اللغوي لهذه اللفظة أكثرا تعبيرا عن التصاقها بالفرد وكينونته. فقد ورد اشتقاقها في اللغة العربية بوجهين:

الوجه الأول: أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه إذا تناول ضرع أمه يمتصه ولهج الفصيل بأمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج.

الوجه الثاني أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج يعني أولع به واعتاده أو أغرى به فثابر عليه واللهج بالشيء: الولوع به. (هلال، 1993)

وبهذا لو تساءلنا كيف توصل الواضع اللغوي إلى هذا المفهوم الدال على الولع والاعتياد والالتصاق لقلنا إن العربي ذا السليقة السليمة تأمل في ما يعبر عن مكانة اللهجة واللغة والفصاحة عند العرب القدامى وانتماء

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

اللهجة إلى بيئة خاصة ضمن بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات (أنيس، 2003) وافتخار رؤساءها والخاصة من الناس بفصاحة القول والتفنن في كل نواحيه كإجادة الشعر. أضف إلى هذا كله نسبتها إلى القبائل وتمسك كل قبيلة بصفاتها الكلامية في حديثها العادي وفي لهجات التخاطب (أنيس، 2003) بين أفرادها، فلم يجد معبرا عن هذا كله سوى ما يستشعره في هذه الكلمة من معاني القبلية والاعتزاز بالانتماء والتعبير عن الهوية والتعلق والولع بها كما يتعلق الفصيل بضرع أمه.

وأما مسألة اللهجات والتباين في إطار اللغة الواحدة، فإنه أمر طبيعي، فقد مضى العرب في جاهليتهم يتوسلون العربية أداة للتواصل والتفاهم فيما بينهم، صادرين عن وعي وإحساس باتفاق جامع على أنموذج لغوي واحد، صادفين عن الفروقات الشكلية والسمات اللهجية الفارقة، التي كانت تتراءى أحيانا في مستوى الأداء النطقي، (العناتي، 2001) والتي يجب أن تبقى من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة عن أخواتها عسيرة الفهم على أبناء اللغة. فرغم أنها تعبر عن هوية جزئية يسيرة وخاصة إلا أنها لا يجب أن تنفصم عن الهوية الكلية المركبة الخاصة بالوطن أو الشعب أو الأمة.

إن الحديث عن العلاقة بين الهوية واللهجة أو اللغة يوحي باستقلال المفردات وانعزالها عن بعضها البعض، في حين أن هذا الثنائي الذي لا يفرق بين شقيه أي عامل أو مبرر، فاللغة من أهم مكونات الهوية، بل هي جوهرها وروحها. إنهما وجهان لعملة واحدة: الإنسان الذي ليس سواهما. وهو ما يؤكده جون بول سارتر في مقولته الشهيرة "إنني لغة" (بغورة، 2007)، وهنا نأخذ عن الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر قوله في اللغة: "لغتي هي مسكني، وهي موطني ومستقري، وهي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع." (حسين، 2008) أضف إلى ذلك مقولة اللغوي الأنثروبولوجي إدوارد سابي: وحسب الحقيقة الواضحة فإن العلاقات الاجتماعية المهمة لا يمكن أن تكون واقعا من دون لغة إلا بصعوبة كبيرة. إن وجود كلام مشترك يؤدي وظيفة رمز فعال على نحو مميز للتضامن الاجتماعي عند أولئك اللذين يتكلمونها. (جوزيف، 2007) وعلى هذا الأساس فاللغة ليست مجرد وسيلة توصيل أفكار عن العالم، بل هي أم الرموز الثقافية المشكلة لهوية الإنسان (الذوادي، 2005)، وهي صورة تعكس الواقع الاجتماعي والنفسي للأفراد أو لمجموعة لسانية ما. (وافي، 2007) وبالتالي فهي أساس هوية كل مجتمع (حيدر، 1997) التي تقع في صميم ما تعنيه اللغة وفي آلية عملها، وكيفية تعلمها (النجار، 2012). وعلى هذا الأساس، فهي مرآة الأنا التي لا تخلو من الذاتية والأنانية والنرجسية في مواجهة الآخر. هاته الأنا الميالة دائما إلى التميز والتفوق حتى في المجالات التي لا تخضع إلى المفاضلة التي لا تتفق مع وجهة النظر اللغوية الحديثة (القاسمي، 1975) ومنها اللغة واللهجة. بل لعل التصاقهما بالهوية هو ما يجعلها مقارنات المفاضلة تحلو بإعلاء قيمة الأنا والتقليل من شأن الآخر عن طريق الوصم الذي يمثل عمود الصراع الثقافي والهوياتي الذي عاشه الإنسان منذ الحضارات القديمة ومازالت تجلياته قائمة حتى أيامنا الحالية.

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

5 - البربرية: أقدم تجليات الوصم اللغوي

عاشت الشعوب القديمة لقرون عديدة على إيقاع الحروب والصراعات، فكان العداء لكل مختلف وغريب أمرا طبيعيا حتمته الرغبة في السيطرة والهيمنة والحفاظ على البقاء. فكانت اللغة وسيلة لفرض الهوية الثقافية للمنتصر وسحق المنهزم ووصمه. ويكفي في هذا السياق أن نستحضر مثال اليونانيين القدامى في وصم غير الناطقين باللغة الإغريقية بكلمة "البربر" التي ما تزال حية في اللغات الحديثة بكل معانيها السلبية.

لقد تعمق لويس جون كالفي في كتابه "حرب اللغات" في تحليل لفظ البرابرة، فقد كان يعني من الوجهة التأثيلية التي تهتم بإعادة الكلمة إلى أصولها "من لا يتكلم"، لأنه لا يتكلم الإغريقية، ولا يستطيع أن يصدر صوتا هو أشبه منه بالضجيج منه بالكلام، أو غمغمة أو قرقرة أي باختصار شيء يمكن أن يكون على سبيل السخرية محاكاة لصوت من أصوات الطبيعة مبني على تكرار مقطع يشبه صوته صوت الأطفال:(بر) (بر) (كالفي، 2008). كما أشار كالفي إلى استعارة الرومان لهذه اللفظة بمعناها الواصم واستعمالها من قبل انطونيو دو نوبريجيا في كتابه عن نحو اللغة الإسبانية في عام 1492 قائلا: " البربرة عيب لا يمكن التسامح معه في جزء من الجملة، ويسمى هذا بربرة لأن الإغريقيين كانوا يسمون برابرة كل الشعوب باستثنائهم هم. وقد سمى اللاتينيون بدورهم برابرة كل الشعوب الأخرى باستثنائهم هم والإغريق. ولأن الغرباء اللذين كانوا يسمونهم برابرة كانوا يفسدون عليهم لغتهم حين كانوا يريدون التكلم بها، فقد سموا "بربرة" العيب الذي يقع في كلمة من كلامهم. ويمكن أن نسمي "برابرة" جميع الغرباء عن لغتنا باستثناء اللاتين والإغريق. (كالفي، 2008)

هكذا إذن وجد الإغريق وسيلة مريحة لتصنيف العالم ومعاملة الآخر المختلف، فصنفوا كل من لا يتكلم اللغة الإغريقية، أي الغرباء، في صنف البرابرة المتوحشين. وقد درج على منوالهم جل الأمم والحضارات والامبراطوريات المنتصرة التي بسطت نفوذها واستغلت هيمنتها لوصم الآخر الغريب. ولم يشذ الرومان عند احتلالهم لشمال إفريقيا عن هذه القاعدة في وصف الأقليات الأمازيغية بالبربر رغم عدم احتواء هذه اللفظة في اللغة الأمازيغية على معاني التوحش والهمجية، إذ هي في لسانهم أصلها "أبرابر" التي تتكون من ثلاثة مكونات: آبر وتعني معرفة وآب تعني كتابة وآر تعني بدون. والمعنى الإجمالي هو أن الشعب البربري بدون معرفة الكتابة هم شعب الكلمة الشرف. وقد تواصل هذا الوصم مع العرب باستعمال لفظة البربر بمعناها المتوحش والهمجي خاصة مع وجود سند في اللغة والمعاجم العربية التي تشير إلى ذات المعاني. فبربر الشخص تعني في اللغة العربية أكثر الكلام في جلبة وصياح وغضب ونفور، صوّت عاليا عند الهياج. وبربر المساجين في الحبس. أضف إلى ذلك فحوى نصيحة الخليفة عمر بن الخطاب للعرب عن الأمازيغ: "لا تقربوا البربر مادام عمر حيا". وقد ولّد ذلك رغبة جامحة لدى الأمازيغ في الانتساب للعرب العدنانية المستعربة و"ادعاءهم" لذلك كما عبر عنه ابن خلدون في مقدمته بولع المغلوب بتقليد الغالب لمحاربة الوهن الذي أصاب قومها جراء التراكمات التاريخية التي قرأتهم قراءة خارجية استحواذية مغلوطة.

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

لا يقتصر الوصم اللغوي عند العرب على لفظة البربر، فكلمة "العجم" التي تشير إلى غير المنتمي للأصول العربية تحمل معان دونية واصمة. فهي تعني في لغة الفقهاء "الجاهل الذي لا أثر عنده من علم" (قلعه جي، 1988). والأعجمي في كتاب "التحقيق في كلمات القرآن الكريم" هو "غير الفصيح وإن كان عربيا"... والعجماء كل دابة أو بهيمة... والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة: هو عقدة في إبهام ... والأعجم صفة مشبهة كالأبكم والأصم. (المصطفوي، 1973)

لقد استغلت الأمم الوصم اللغوي بما هو جزء من الوصم الثقافي ذي المعاني السلبية (الوحشية والتخلف والإرهاب ....) لتحقير المختلفين وتعزيز صورتهم كأعداء يجب بسط النفوذ والهيمنة عليهم. وما العولمة اللغوية التي يسعى الغرب لبسطها إلا مظهر من مظاهر التمييز على أساس اللغة الذي بدأت تنتقل عدواه وتأثيره داخل المجتمع الواحد من خلال تبادل الوصم بين فئاته المختلفة لهجويا. هذا الوصم الذي يخفي تباينات ثقافية وهوياتية لا يمكن أن يحدث دون أن يخلف أمراضا اجتماعية كالقلوتوفوبيا glottophobie التميز القائم على أساس الاختلاف اللساني (Blanchet, 2016).

6 - اللغة من الصراع الواصم إلى القلوتوفوبيا المميزة

اهتم علماء اللسانيات الاجتماعية كثيرا بموضوع الصراع اللغوي لاعتباره قانونا من أهم القوانين الأساسية التي تخضع لها اللغة إلى جانب قانون التطور، وقانون الاحتكاك، وقانون التبدل والتغير... فقد ربط ابن خلدون بين اللغة والهيمنة وكذلك بشروط اجتماعية وجغرافية وتاريخية أو سوسيوثقافية ورأى أن اللغة بيد السلطة لتشريع هيمنتها فهي ليست قوة في حد ذاتها وإنما الهيمنة ترفع من شأنها فتعلمها أو تدنيها. ولعل تأكيدات ابن خلدون تساعد على فهم المسألة اللغوية راهنا بالاستناد في علاقتها بالقوة. (بوعزيزي، 2007)

كما تداول الدارسون كثيرا عبارة "حرب اللغات" (كالفي، 2008) التي عنون بها لويس جون كالفي إحدى مؤلفاته وأرجع أصل النزاع فيها إلى التعدد اللغوي. فحرب اللغات التي تناولها الكتاب لم تكن لتكون لو كان العالم كله يتكلم لغة واحدة. (كالفي، 2008) وقد استوحى كالفي اللفظة من خلال تشبيه الإرث اللساني الذي خلفته الامبراطوريات الاستعمارية بالإرث الذي خلفته الحروب والعلاقات الاقتصادية والعولمة. وفي حقيقة الأمر لم يبالغ كالفي في ذلك. فقد كانت كل الدراسات تنحى لإظهار أن كل اللغات ليس لها نفس القيمة، وأنه هناك لغات دنيا ولغات عليا" (Calvet, 1999) وأثبتت أن اللغات تتصراع وتنازع على البقاء، وتسعى وراء الغلبة والسيطرة شأنها في ذلك شأن أفراد الكائنات الحية. وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف الأحوال. فتارة ترجح كفة أحد المتنازعين، فيسارع إلى القضاء على الآخر مستخدما في ذلك وسائل القسوة والعنف، ويتعقب فلوله فلا يكاد يبقى على أثر من آثاره. وتارة ترجح كفة أحدهما كذلك، ولكنه يمهل الآخر، وينتقص بالتدريج من قوته ونفوذه، ويعمل على خضد شوكته شيئا فشيئا حتى يتم له النصر. وأحيانا تتكافأ قواهما أو تكاد فتظل الحرب بينهما سجالا، ويظل كل منهما في أثنائهما محتفظا بشخصيته ومميزاته. " (وافي، 1971)

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

وبما أن اللغة مكون من مكونات الهوية الثقافية، بل لعلها الأهم فيها، فإن ذلك يعتبر سببا منطقيا لنشوب الصراع حولها وبينها خاصة وأننا نعيش في عالم يحكمه الصراع الثقافي والهوياتي. ولعل ظهور عديد المصطلحات من قبيل "الافتراس اللغوي" le cannibalisme linguistique والإبادة اللغوية la linguicide من أهم مظاهر ضراوة هذه الحرب التي يسعى كل طرف فيها لبسط هيمنته وسيطرته وغلبته اللغوية (glottophagie) (Calvet, 1974). وهو ما يؤكد أن الأمن اللغوي هو الوجه الآخر للأمن الثقافي (عزوز، 2014). بل أكثر من ذلك فإن الأمن السياسي لا يكون دون أمن لغوي (بلعيد، 2014). ذلك أن المواطنة التي تعطي لكل مواطن الحق في استخدام لغته المحلية وتحمي دساتيرها الأفراد ضد تعرض شخصيتهم أو وطنيتهم أو هويتهم للشك نتيجة معتقداتهم هي ذات دلالات سياسية.

إن الاختلاف اللغوي أو اللهجوي، كغيره من الاختلافات الأخرى بين الناس، فرصة للاعتداد بالذات وتقديمها في صورة إيجابية: عليا أو متحضرة أو متقدمة أو قوية، ووصم المختلف وتعييره وتقديمه في صورة سلبية: دنيا أو متخلفة أو ضعيفة. فالناس، كما يقول كالفي، ميالون في مواجهة الاختلاف إلى السخرية من عادات الآخرين وإلى اعتبار أن لغتهم هي الأجمل، وهي الأنجع، وهي الأدق، أي أنهم ميالون إلى تحويل اختلاف الآخر إلى نقصان فيه. كان من الممكن لفيلم "حرب النار" الذي عرف شهرة عالمية لأنه يقيم مواجهة بين قبائل تتكلم لغات مختلفة، أن يظهر على الشاشة أيضا النمط التالي من أنماط الاختلاف اللغوي: أنت لا تتكلم مثلي، إذا أنت تتكلم بصورة مضحكة. (كالفي، 2008) هذه الصورة هي جوهر عملية الوصم، وهي لا تقتصر فقط على اللغات، بل تتجاوزها إلى اللهجات التي تتفرع عنها. وأعتقد أن هذه النوعية من الصراع أشد وصما وخطورة، ذلك أن درجة التعصب تكبر كلما تقلصت جماعات الانتماء أو ضاقت جغرافيتها. فتتعدد الألفاظ الواصمة والسلوكات الناتجة عنها كالتمييز والتعصب والعنف وتحيي النعرات الجهوية والعروشية والطبقية.

7 - الوصم اللهجوي في تونس: الوجه الآخر "الجهويات" و"الحقرة"

تتميز اللهجات التونسية بالثراء والتنوع، وخلافا لما يدعيه غير فاهميها من العرب أصحاب نفس اللغة الأصل، فإن جل ألفاظها ذات أصول عربية. ورغم إقرار رواد اللسانيات الاجتماعية أنه يوجد من العامية الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحد، وأنها في تغير دائم تبعا لأحوال الجماعات والأمكنة التي تعيش فيها كل جماعة خاصة (هلال، 1993) ، إلا أن اللهجات في تونس تختلف في مجملها باختلاف المناطق والجهات. ويمكن تقسيم اللهجات إلى لهجة الشمال الشرقي ولهجة العاصمة ولهجة الساحل ولهجة الجنوب ولهجة الشمال الغربي ولهجة الوسط الغربي ولهجة صفاقس. ورغم ذلك فداخل كل لهجة محلية هناك فوارق طفيفة بين كل مدينة وكل منطقة وخصوصا بين الريف والمدينة. وهذا ما يعنينا في هذا البحث لارتباطه بظاهرة التمييز والوصم اللذين لهما أيضا علاقة قديمة ومتجددة مع ظاهرة مازلنا ندعي القضاء عليها نهائيا: الجهويات. إن التاريخ والثقافة المحلية المشتركة داخل الجهة الواحدة أو الإقليم الواحد يعطل عملية التخلص النهائي من نعرات العروشية والقبلية التي تخفيها حالات الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

وتعيدها إلى قلب الأحداث الأزمات والتقلبات العنيفة داخل المجتمع أو الوطن الواحد. إذن فمن السذاجة الإيمان القطعي بالتجانس الثقافي الشامل والقضاء على كل أشكال التعصب والتمييز.

ورغم قناعتنا بأن استخدام لغة أشبه بأن تكون عامة هي لهجة العاصمة من قبل السياسيين ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمسارح والصحافة لتكون لسان حال الأمة والمعبر عن أغراضها السياسية والاجتماعية (هلال، 1993) أمر طبيعي ومعمول به في كل البلدان، إلا أننا نعتبر أن هذا التوحد اللهجوي يمكن أن تكون له نتائج خطيرة على مجتمع تتقلص فيه ثقافة الاختلاف مثل تونس. فعلى سبيل المثال، ساهمت عديد المسلسلات والأفلام والمسرحيات وخاصة الكوميدية منها في تشويه صورة بعض اللهجات المحلية الداخلية من خلال تصوير أصحابها في دور الأبله أو الساذج أو غير المتحضر أو الغبي... ويكفي أن نستحضر في هذا الإطار فيلم "المحتحت والمريّش" الذي لم يجد مخرجه سوى هاتين اللفظتين الواصمتين (تفيدان الحرمان والفاقة، والثانية مشتقة من الريش: أي أن المريّش هو كالدجاجة التي أزيل ريشها) لتصوير نازحين من إحدى المناطق الداخلية إلى العاصمة في صورة المتخلفين والسذج من خلال التركيز على سلوكاتهم ولهجاتهم الغريبة. أضف إلى ذلك مسرحية "الكريطة" التي لا يختلف موضوعها كثيرا عن الفيلم سابق الذكر. وفي السنوات الأخيرة أثار سيتكوم "نسيبتي العزيزة" استفزاز سكان صفاقس واستياءهم نظرا لتقديمه للهجة الصفاقسية بطريقة اعتبروها مهينة لهم، وتقديمه لشخصية أحد النازحين من المناطق الداخلية كما تشير لهجته وخطيبته ووالديه في صورة المغفلين والسذج بطريقة كاريكاتورية. ولعل أخطر ما قيل في التهكم على اللهجات ما أستحضره في إحدى مسرحيات "رؤوف بن عمر" حينما رد على أحد الممثلين لإبراز الفرق بين لهجة "البَلْدية" أي لهجة العاصمة واللهجات الأخرى مشيرا إلى أن "البَلْدية" أيضا يستعملون حرف القاف المجهورة أي "ڤ" قائلا: "حتى أحنا نقولو للمنقالة منڤالة ونقولو للڤُعْر ڤُعْر" (قد يكون اشتقاق الكلمة من لفظة قعر البئر أي أسفله، أو الاستعمال الدارج الذي يعني المقطع والبائد، وكلاهما وصم) بطريقة يفهم المتفرج البسيط منها النظرة الواصمة لغير الناطقين بلهجة العاصمة. وقد ظلت تلك الجملة راسخة في ذهني إلى يومنا هذا لوصمها للمتكلمين بالـ "ڤ" مثلي رغم مرور عديد السنوات على ذلك والتي جعلتني أنسى عنوان المسرحية ومخرجها خلافا لتلك الجملة المستفزة. فلفظة "الڤُعْر" لها من المعاني السلبية المهينة مثل التخلف وعدم التحضر والسذاجة واحتوائها على حرف "ڤ" المميز الأكبر بين لهجات المدن ولهجات الأرياف ما يجعلها الأكثر استعمالا لوصم غير المتكلمين بالقاف من قبل الأنفس المريضة التي تعتقد خطأ أن اختلاف اللهجات فرصة للمفاضلة بين متكلميها. وعلاوة على هذه الأمثلة، فإن المعجم التونسي يتميز بثرائه بالألفاظ الواصمة وقدرة التونسي على ابتكار وخلق مفردات تعرّي الموروث الجهوي الذي تؤكد المجهودات التي يقوم بها السياسيون والنخب (مثال التمييز الإيجابي) للقضاء عليه أنه مازال حيا في نفوس كثير من التونسيين. وقد أحيت "ثورة 14 جانفي 2011" كلمة "الحڤرة" التي تلخص عدم تكافؤ الفرص وعدم توزيع الثروة والتنمية بطريقة عادلة بين مناطق الجمهورية. ولا يمكن أن يولد هذا التفاوت الجهوي سوى تعزيز التضامن بين أفراد الجهات المهمشة وتعصبهم لها، في مقابل تنمية الشعور بالتفوق لدى الطرف الآخر الذي يتجاوز الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليشمل مكونات الهوية الثقافية المحلية للآخر أو "الأنا الآخر" ومن بينها اللهجة التي تتحول إلى مصدر

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

للسخرية والتهكم والاحتقار. وهو ما تؤكده نتائج السؤال: "ما هي أكثر الأوصاف أو النعوت الموجهة للمختلف في اللهجة؟". فقد ورد في إجابات المستجوبين كلمتا "قُعْر" و"جبري" بـ 90 تكرارا، تليهما "جاي من ورا البلايك" بـ 79 تكرارا، ثم " قديم" بـ 51 تكرارا. أضف إلى ذلك مفردات واصمة أخرى من قبيل "نزوح" و"عرب" و"عربية" و"عربان" و"تسكرة التران train في مكتوبو" و"هوكش" و"حاشا ها المحل" و"كلاّب" و"قعبوط" و"رهوط" و"امارك" و"دارين وكلب" و"قننو" و"ولد بلاد" و"حومة" و"فرارfrère" التي تبرز النظرة الدونية والمحقرة والتمييزية للمختلف لهجويا. وهذه الألفاظ في أغلبيتها الساحقة، كما هو واضح، موجهة للمتكلمين بغير القاف أي سكان الأرياف والمناطق الداخلية كالشمال والوسط الغربيين والجنوب. وهو ما ينسجم مع نتائج السؤال: "حسب رأيك ما هي أكثر اللهجات التي يسخر منها الناس في تونس؟" التي احتلت فيها لهجة الجنوب المرتبة الأولى، تليها لهجة الوسط الغربي، وفي المرتبة الثالثة تأتي لهجة الشمال الغربي، ثم لهجة الساحل، فلهجة صفاقس، وفي المرتبة الأخيرة لهجة العاصمة.

وفيما يلي معاني بعض الكلمات الواصمة:

جدول (1)

بعض الكلمات الواصمة المنتشرة ومعانيها

الكلمة	المعنى (كل المعاني واصمة وساخرة ودونية)
"قُعْر"	قعر الشيء أي قاعه، وفي الدارجة الشيء "المقعور" هو المثقوب
-"جاي من ورا البلايك" **-"تسكرة التران (train) في مكتوبو"** **-"نزوح"**	"البلايك" هي الإشارات التوجيهية و"جاي من وراء البلايك" تعني قادم من المناطق النائية والبعيدة عن الحضارة. "تسكرة التران في مكتوبو" تعني تذكرة القطار في جيبه والمقصود مازال حديث القدوم للمدينة أو يجب عليه مغادرتها لأنه غير أهل لحضارتها ورقيّها.
"عربية"،"عربان"، "عرب"	نسبة للعرب وفيها نحقير وسخرية من سكان المناطق الداخلية غير الحضرية التي يعتبرونها غير متحضرة ومتخلفة مثل حال العرب في العالم.
"حاشا ها المحل"	من معانيها: شيء منبوذ ومكروه ومؤذي
"قعبوط"	في الدارجة شخص يتقعبط: يفعل أو يقول أشياء أكبر من عمره أو مستواه.

المصدر: من إنجاز الباحث.

إن الوصم اللهجوي واقع لا يمكن إنكاره، وهو من المواضيع المسكوت عنها. قد تكون الحالات قليلة حتى تنعت بالظاهرة، لكن أفراد عينة البحث وهم جزء لا يتجزأ من المجتمع التونسي يجمعون على وجود السخرية من اللهجات بنسبة 100% في إجابتهم عن سؤال: "هل يوجد في تونس سخرية من بعض اللهجات؟" وهم يعتقدون أن هذه السخرية قد تصل في أحيان كثيرة إلى وصم أصحابها بأوصاف سلبية ومحقرة ساهم في إذكائها التعصب الجهوي الذي لم يستطع التونسي التخلص منه. والأخطر من كل ذلك إقرارهم بإمكانية تحول الوصم اللهجوي إلى ممارسات تمييزية بين الأفراد.

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

8 - اللهجة من الوصم إلى التمييز

إن الوصم اللهجوي بالألفاظ التي ذكرناها في الفصل السابق يعكس تعصبا ثقافيا متطرفا، يجعل من "الأنا" محور الكون ومن "الآخر"، الذي يعتبر أقرب "آخر" أو صورة من صور الأنا الآخر، هامشا له. وقد يؤدي ذلك إلى تحول اللهجة بما هي المحدد الرئيسي للهوية الثقافية المحلية إلى وسيلة للتمييز الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. وقبل الخوض في نتائج الاستبيان الميدانية استحضر بعض المواقف التي عشتها والشهادات التي سمعتها من قبل أشخاص كانت لهجتهم عائقا وعقبة أمام تقدمهم المهني ونظرة المجتمع لهم. فقد عشت سنتين في ولاية مدنين في الجنوب التونسي وكان كثير من أترابي وزملائي في الدراسة يلقبونني بـ"صْفَقْ"، التي تخفي جوانب وصم وجهويات للمنتمين إلى ولاية صفاقس، رغم قرب لهجتي من لهجتهم أكثر من اللهجة الصفاقسية التي تختلف لهجة سكان مدينتها ومحيطها القريب عن لهجة سكّان الأرياف اللذين أنتمي إليهم مع ما يمكن أن يؤديه ذلك من تبادل للوصم اللهجوي. وقد أدى ذلك الوصم إلى شعوري الدائم بالغربة بينهم وتقوية إحساسي بالانتماء إلى ولايتي رغم وجود وصمات لهجوية موجهة نحونا من قبل مركزها. أما المثال الثاني فهو حالة طرد أحد أصدقائي من العمل في مدرسة خاصة في أحد الأحياء الراقية في تونس العاصمة نتيجة عدم استجابته لطلب المديرة بتغيير لهجته التي اشتكى منها بعض أولياء التلاميذ. وقد كان دائما يقول لي بكل حسرة: حرف واحد قضى على مستقبلي (الـ"ف").

ومن منا لا تحضر في مخيلته أمثلة ممن التجؤوا إلى تغيير لهجاتهم المحلية لتحقيق اندماجهم الاجتماعي في المدينة واستبدالها بلغة «راقية» أو محايدة تمنحهم فرصاً عملية للترقي أو اجتياز امتحان شفوي للانتداب في مهنة ما، وتحول دون التفرقة ضدهم بناء على لهجة متوارثة لا ذنب لهم فيها. فكثيرا ما يضطر العاملون في المهن التواصلية والاتصالية كالصحافة والمسرح والسياسة والتدريس والتجارة والخدمات إلى تغيير لهجاتهم المحلية التي نشؤوا عليها منذ نعومة أظفارهم واحتلت في قلوبهم مكانة كبيرة. وقد أشار فيليب بلانشي في حوار صحافي أجري معه حول كتابه la discrimination: combattre la glottophobie إلى عديد الشهادات التي تلقاها بعد صدور كتابه والتي فاجأته بانتشار القلوتوفوبيا أي التمييز على أساس اللهجة وخطورتها بدرجة لم يكن يتوقعها. وقد أحس بأنه عالج قضية اجتماعية حقيقية مؤلمة وعنيفة قائلا: "لقد رأيت البعض يبكي. لقد أعدنا فتح جرح مؤلم جدا. رفض لهجة ما هو مس بهوية صاحبها (Piquemal, 2016)." ولا يقتصر هذا التأثير على الفرنسيين الذي اهتم بهم بلانشي، ولكنه إحساس يمكن أن يمس أي إنسان في أي بقعة من المعمورة. فالثقافة المحلية هي البذرة الأولى للهوية، وهي بالتالي مصدر الافتخار والاعتزاز بالانتماء الذي يعز على المرء التخلي عنه. وقد أكد 95 بالمائة من المستجوبين أنهم يفتخرون بلهجتهم، و80 بالمائة منهم غير مستعدين لتغييرها، ومعتبرين أن من يقوم بذلك هو شخص ذو شخصية ضعيفة (62 بالمائة). وفي واقع الأمر فإن هذا الحكم يبقى نسبيا نظرا لقوة الأسباب التي يمكن أن تدفع الفرد إلى ذلك.

فالغايات المهنية أو الدراسية أو إقامة علاقة بالجنس الآخر أو حتى من أجل مواكبة العصر وجلب الانتباه التي كشفتها نتائج الاستبيان يمكن أن تجعلنا نتفهم تخلي المرء عن لهجته. ولكنها في الآن ذاته لا يمكن أن

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

تحجب النظرة الدونية لدى فئات من المجتمع عن اللهجات المختلفة وأصحابها، والتي تتحول إلى ممارسات تمييزية وواصمة في واقع تتقلص فيه ثقافة الاختلاف.

9 - الخاتمة:

قد لا يرتقي الوصم اللهجوي أو التمييز على أساس اللهجة أي القلوتوفوبيا لوصفه بالظاهرة غير أن تأثيراته قد تكون أعنف وأكثر ألما على الموصوم من عديد الظواهر الاجتماعية. فهو يمس الجانب الحميمي منه، إذ أن اللهجة هي أول ما يتعلمه الفرد ويكتسبه في مجتمعه، وهي وسيلة تواصله مع عائلته وأقاربه وجيرانه، وهي التي تعزز الروابط الاجتماعية الأكثر دفئا وألفة بينهم. إنها جوهر الهوية الثقافية المحلية الذي يذكي لدى النفوس المريضة التي لا تؤمن بثقافة الاختلاف الهوياتي والثقافي هواجس المفاضلة والتمييز اللهجوي الذي لا يمت للمنطق السليم بأي صلة. ولو تربث الواصم في حكمه على الآخرين لوجد نفسه موصوما من قبل واصم آخر يدعي التفوق أو الموصوم ذاته. ذلك أن الواصم اللهجوي قد يجد لنفسه مشروعية واهمة للسخرية من أي لهجة نتيجة للطابع العبثي لمنطق المفاضلة بين اللهجات.

لم يخضع واقعنا اللساني إلى قراءات وتحليلات سوسيوثقافية تتعمق وتنغمس في الخصائص الاجتماعية والثقافية والنفسية للغة وخاصة اللهجة التي قد يستنكف عديد الباحثين عن دراستها إما نتيجة رقابات ذاتية أو مركبات نقص أو تعال، أو خوفا من الاعتداء على مسلّمة "التجانس الثقافي" المقدسة والتي تمثل عامل راحة ثقافية ونفسية للمهيمن لهجويا، أو إنكارا لثقافة كثير من أفراد مجتمع ساديين يتلذذون بإهانة الآخر والسخرية منه والبحث المستمر عن مظاهر الاختلاف لاستغلالها في الوصم. وقد ساهمت وسائل الإعلام والمركزية الثقافية في تطبيع المجتمع مع استعمال "اللهجة المهذبة" أو "الأميز" الذي يخفي ادعاء سهولة فهمها انتقاصا واهما من القيمة التعبيرية للهجات الأخرى. ولعل أخطر ما في المسألة أن تصبح هذه اللهجة دليلا على المنزلة الاجتماعية والثقافية ويتحول الوصم إلى ممارسات تمييزية وإقصائية تدفع الموصوم المغلوب إلى تقليد الواصم الغالب من أجل الاندماج المهني أو الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي.

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

10 - قائمة المراجع

أنيس، ابراهيم. (2003) . في اللهجات العربية. القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية.
بشر، كمال. (2005) . التفكير اللغوي بين القديم والجديد. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
بغورة، الزواري. (2007). مفهوم اللغة في فلسفة جون بول سارتر. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. الكويت: مجلس النشر العربي.
بلعيد، صالح (2014). حقوق اللغة الرسمية. ندوة التعدد اللساني واللغة الجامعة. الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
بوعزيزي، محسن (2007) . اللغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون. اللسان العربي وإشكالات التلقي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
بيوجيه، جان.) 1985). البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري. بيروت: منشورات عويدات.
جمعة، حسين. (2008). وعي اللغة العربية وتمكينها حاضرا ومستقبلا. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
جوزيف، جون. (2007). اللغة والهوية، ترجمة عبد النور خراقي. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
حيدر، أحمد. (1997). إعادة إنتاج الهوية. دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع.
الذوادي، محمود. (2005). في الأسباب والآثار لاغتراب العلاقة بين المجتمع ولغته. مجلة العلوم الاجتماعية. الكويت: مجلس النشر العلمي.
الراجحي، عبده. (1998). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. الإسكندرية: المعرفة الجامعية.
طعم الله، خميس (2004). مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعي. تونس: مركز النشر الجامعي.
العبيدي، رشيد عبد الرحمن(1985). البحث اللغوي وصلته بالبنيوية في اللسانيات. بغداد: مجلة آداب المستنصرية.
عزوز، أحمد(2014). الهيمنة الثقافية ، ندوة التعدد اللساني واللغة الجامعة .الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
العناتي، وليد. (2001). التباين وأثره في تشكيل النظرية اللغوية. عمان: وزارة الثقافة.
القاسمي، علي. (1975). علم اللغة وصناعة المعجم. الرياض: جامعة الملك سعود.
قلعه جي، محمد رواس وقنيبي، حامد صادق. (1988). معجم لغة الفقهاء. بيروت: دار النفائس.
كالفي، لويس جان (2008). حرب اللغات والسياسات اللغوية. ترجمة حسن حمزة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
لعيبي، هادي نهر. (2009). اللسانيات الاجتماعية عند العرب. الأردن: عالم الكتب الحديث.
مارتيني، أندري. (1999). مبادئ في اللسانيات العامة. ترجمة سعدي زبير. الجزائر: دار الآفاق.
المصطفوي، حسن. (1973). التحقيق في كلمات القرآن الكريم. طهران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.
النجار، لطيفة(. (2012). اللغة العربية بين أزمة الهوية وإشكالية الاختيار، المؤتمر السنوي للعلوم الإنسانية والاجتماعية. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
نهر، هادي (1988). علم اللغة الاجتماعي عند العرب. بغداد: الجامعة المستنصرية.
هدسون. (2002). علم اللغة الاجتماعي. ترجمة محمد عياد. القاهرة: عالم الكتب.
هلال، عبد الغفار حامد. (1993). اللهجات العربية وتطورها. القاهرة: مكتبة وهبة.
وافي، علي عبد الواحد.) 2007). اللسان العربي الواقع والآفاق. اللسان العربي وإشكاليات التلقي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
وافي، علي عبد الواحد. (1971). اللغة والمجتمع. القاهرة: مصر للطبع والنشر.
يوهان، فك. (1982): العربية. ترجمة رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
Blanchet, P. (2016). Discrimination : combattre la glottophobie. Paris : Editions Textuel.

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

Blanchet, P. (2007). Quels linguistes parlent de quoi ? Paris : Carnet d'Atelier de sociolinguistique.
Calvet, L.J. (1999). La guerre des langues et les politiques linguistiques. Paris : Hachette Littératures.
Calvet, L.J. (1974). Linguistique et colonialisme, petit traité de glottophagie. Paris : Payot.
Labov, W. (1976). Sociolinguistique. Paris : Minuit,
Meillet, A. (1965). L'état actuel des études de linguistiques générales. Linguistique historique et linguistique générale. Paris : Editions Champion.
Piquemal, M. (2016). Dialogue avec Philippe Blanchet. www.libération.fr.

- Arabic References in English

Anis, I. (2003). On Arabic Dialects. Cairo: Anglo-Egyptian Library.
Bishr, K. (2005). Linguistic Thought Between the Old and the New. Cairo: Gharib Publishing, Printing and Distribution.
Baghoura, A. (2007). The concept of language in Jean-Paul Sartre's philosophy. Arab Journal of Human Sciences. Kuwait: Arab Publishing Council.
Belaid, S. (2014). Rights of the Official Language. Seminar on Linguistic Diversity and the Unifying Language. Algeria: High Council of the Arabic Language.
Bouazizi, M. (2007). Language and relations of domination in Ibn Khaldun. Arabic Tongue and Reception Issues. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
Piaget, J. (1985). Structuralism (A. Menimna & B. Aubry, Trans.). Beirut: Oweidat Publications.
Jomaa, H. (2008). Awareness of the Arabic Language and Its Empowerment in the Present and the Future. Abu Dhabi: Emirates Center for Strategic Studies and Research.
Joseph, J. (2007). Language and Identity (A. Khiraqi, Trans.). Kuwait: World of Knowledge Series.
Haider, A. (1997). Reproduction of Identity. Damascus: Al-Hasad Publishing & Distribution.
Al-Dhawadi, M. (2005). Causes and effects of the estrangement of the relationship between society and its language. Journal of Social Sciences. Kuwait: Scientific Publishing Council.
Al-Rajihi, A. (1998). Arabic Dialects in Qur'anic Readings. Alexandria: University Knowledge House.
Taam Allah, K. (2004). Research Methodology and Tools in Social Sciences. Tunis: University Publishing Center.
Al-Ubaidi, R. A. (1985). Linguistic research and its relation to structuralism in linguistics. Al-Mustansiriya Journal of Arts, Baghdad.
Azzouz, A. (2014). Cultural Hegemony. Seminar on Linguistic Diversity and the Unifying Language. Algeria: High Council of the Arabic Language.
Al-Anati, W. (2001). Variation and Its Influence in Forming Linguistic Theory. Amman: Ministry of Culture.
Al-Qasimi, A. (1975). Linguistics and Lexicography. Riyadh: King Saud University.
Qala'ji, M. R., & Qunibi, H. S. (1988). Dictionary of Jurists' Terminology. Beirut: Dar Al-Nafaes.
Calvet, L.-J. (2008). Language Wars and Language Policies (H. Hamza, Trans.). Beirut: Arab Organization for Translation.
Laibi, H. N. (2009). Social Linguistics Among Arabs. Jordan: Modern Book World.
Martinet, A. (1999). Principles of General Linguistics (S. Zubair, Trans.). Algeria: Dar Al-Afaq.
Al-Mustafawi, H. (1973). Investigation in the Words of the Holy Qur'an. Tehran: Center for Publishing Al-Mustafawi Works.

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en

Al-Najjar, L. (2012). Arabic language between identity crisis and the dilemma of choice, Annual Conference in Humanities and Social Sciences. Doha: Arab Center for Research and Policy Studies.
Nahr, H. (1988). Social Linguistics Among Arabs. Baghdad: Al-Mustansiriya University.
Hudson (2002). Sociolinguistics (M. Ayad, Trans.). Cairo: Alam Al-Kutub.
Hilal, A. G. H. (1993). Arabic Dialects and Their Development. Cairo: Wahba Library.
Wafi, A. A. (2007). The Arabic Tongue: Reality and Prospects. In Arabic Tongue and Reception Issues. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
Wafi, A. A. (1971). Language and Society. Cairo: Egypt for Printing & Publishing.
Johann, F. (1982). Arabic (R. Abd Al-Tawab, Trans.). Cairo: Al-Khanji Library.

Citation *: Sassi, M. F.H.* ***Glottophobia and linguistic discrimination: A field study of dialect stigmatization mechanisms and exclusionary practices in Tunisian society.*** *Social Empowerment Journal. 2025; 7(4): pp.113-128. https://doi.org/10.34118/sej.v7i4.4477*

Publisher's Note: *SEJ stays neutral with regard to jurisdictional claims in published maps and institutional affiliations.*

This work is licensed under Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en